سشؤون دولية

رئيس الوزراء فورستر : لجوء الى الحليف الاسرائيلي

رئيس وزراء جنوب افريقيا في "اسرائيل"

شجون مشتركة

● اللقاء الذي تم في تل ـ ابيب بين المسؤولين الاسرائيليين وضيفهم الخاص ، رئيس وزراء جنوب افريقيا ، جون فورستر ، لم يكن مجرد لقاء يعكس العلاقات الوثيقة التي تربط بين اسرائيل وجنوب افريقيا منذ تاريخ ايار ، ١٩٤٨ المشؤوم ، لتماثل الكيان الاستعماري الاستيطاني العنصري هناك مع الكيان الصهيوني • فهذه الزيارة ليست بمعزل عن التطورات الهامة الاخيرة في افريقيا على مدى السنتين الاخيرتين ، وحاجة جنوب افريقيا المتزايدة الى توثيق ما هو قائم من علاقات خاصة مع الحلفاء الاسرائيليين •

لقد تمت زيارة رئيس وزراء جنوب افريقيا لاسرائيل وسط اجراءات امنية وصلت الى حدود امتناع المسؤولين الاسرائيليين والدبلوماسيين الجنوب افريقيين ، عن التعليق على نبأ الزيارة الذي ذكرته اذاعة العدو ، في نهاية الاسبوع الماضي ـ او على الاقل فان الاعتبارات الامنية كانت الذريعة المناسبة للامتناع عن التعليق •

فالعدو الاسرائيلي الذي طالما سخر قسما رئيسيا من آلته الدعائية للتستر على عنصرية الكيان الصهيوني ونفي « التهمة » ، كان حريصا حرصا شديدا على ابقاء علاقة التحالف القائمة بينه وبين الكيان العنصري الجنوب افريقي ، بعيدا عن الاضواء الاعلامية ، وذلك على عكس سلوكه فيما يتعلق بعلاقاته الجيدة او الوثيقة مع بلدان اخرى في العالم ، نظرا للحرج الذي تسببه له هذه العلاقة مع عنصريي بريتوريا في تلك البلدان حيث للرأي العام المؤيد لاسرائيل موقفا مختلفا من نظام التمييز العنصري في جنوب افريقيا • ولعل الحرج الاسرائيلي من هذه العلاقة الطبيعية، والتحالف الوثيق والنامي مع العنصريين البيض هناك ، هو اكبر اليوم منه في السابق ، من بعد المعركة الخاسرة التي خاضتها اسرائيل في الامم المتحدة في السنة الماضية ، لمنع ادانة الصهيونية بتحديدها شكلا من اشكال العنصرية، ولا تزال ابواق الدعاية الصهيونية حتى الان ، تقدح وتذم بكتلة البلدان التي شكلت الاكثرية اللازمة لاقرار هذه الادانة في المنظمة الدولية ، وتواصل الحملات الدفاعية التي ترد « التهمة » العنصرية عن اسرائيل • وتجيء زيارة المشل الاول للدولة العنصرية في افريقيا الجنوبية لتل ـ ابيب ، في هذا الوقت بالذات ...

هذا لا يعني ان الزيارة ستثير المسألة بضجيج من هذه الزاوية ، وفي اوساط الرأي العام الذي تحرص اسرائيل على ايجابيته • فالاعلام الصهيوني كفيل بتناول انباء الزيارة ومغزاها ، بالاسلوب الملائم • ولكن ذلك لا يمكن ان يخفي اهميتها في هذه الظروف بالذات ، والتي قال فيها وزير الدفاع العنصري في بريتوريا ، عشية انتصار الحركة الشعبية في رد الغزو الامبريالي ـ العنصري نهائيا ، عن انغولا : ان على الجنوب افريقيين التكيف مع حقيقة ان عليهم العيش في حالة حرب دائمة ، ولوقت طويل ، كما هو حال الاسرائيليين ! •

مصير العنصريين

ان فشل تدخل جنوب افريقيا في تحويل مسار المجابهة في انغولا ، لصالح قوى الثورة المضادة من مرتزقة محليين واجانب ، والانتصار الحاسم الذي حققته الحركة الشعبية هناك ، قد طرح مصير الكيانات العنصرية البيضاء في افريقيا الجنوبية، كالمهمة الملحة الاولى لحركة التحرر الوطني الافريقية في تلك المنطقة ، للمرحلة المقبلة • ورغم ان مصير نظام حكم الاقلية البيضاء في روديسيا هو المطروح للحسم اولا ، الا ان جنوب افريقيا تدرك بأن معركة البيض في روديسيا هي بمثابة معركتها هي ، عند خط دفاعها الثاني ، وان المعركة اذا ما نشبت بشكلها الشامل ، فان لهيبها قد يمتد بسرعة الى جبهتها الاضعف ـ في ناميبيا (جنوب غرب افريقيا) ولا يعود ينطفيء ، ولو مؤقتا ...

ان انهيار الاستعمار البرتغالي في افريقيا وتسلم قيادات الطلائع الثورية للحركة التحررية الوطنية المنتصرة الحكم في كل من انغولا وموزامبيق قد ادخل الكيانات العنصرية في افريقيا الجنوبية طريقا لا عودة عنه ، بل نفقا طويلا لا وجود لبصيص من الضوء في نهايته بالنسبة للاقليات البيضاء العنصرية الحاكمة فيها • وزيارة رئيس الوزراء فورستر لتل ـ ابيب مرتبطة بهذه التطورات الهامة في جواره الافريقي •

وبالطبع لم يكن وزير الدفاع الجنوب افريقي يهذي من وقع صدمة هذه التطورات ، عندما شبه ما سيواجهه حكم التمييز العنصري في البلاد بما يواجهه الكيان الصهيوني في المحيط العربي المعادي له ، ودعا البيض الى الاستعداد للعيش في حالة دائمة • فالانطلاقة الجديدة والنوعية للثورة المسلحة في زيمبابوي ، والتي بدأت في الشهر الاول من هذا العام، انطلاقة تجيء في ظروف متغيرة خلقت ليس هانوي واحدة ، بل اثنين لحركة التحرر الوطني الاستقلالية في افريقيا الجنوبية • وهذه المتغيرات اعطت زخما للحركة الاستقلالية التحررية في ناميبيا ، اضافة الى حركة تحرير زيمبابوي في روديسيا ، وفي الوقت الذي تبحث فيه بريتوريا مشاريع عدة لحل « مشكلة » ناميبيا بشكل ينزع الفتيل عنها قبل وصول اللهب اليه ويضمن قدرتها على الاحتفاظ بسيطرتها على هذا الاقليم الذي لا غنى للكيان العنصري عنه ، والذي اذا فقدته بريتوريا ، او اشتعلت نيران الثورة فيه ، فان ذلك سيكون بمثابة اولى الضربات المميتة التي ستتلقاها سيطرة البيض في جنوب افريقيا ، لان خصوصية هذا الكيان الاستعماري الاستيطاني العنصري تجعل الرابط دقيق جدا بين وضعه الامني ووضعه الاقتصادي •

وتجدر الاشارة في هذا المجال الى ان « مذبحة شاربفيل » الشهيرة في سنة ١٩٦١ ، التي ارتكبتها السلطة العنصرية بحق السود ، انتجت ظاهرة هروب الرساميل المؤقتة ، خوفا من سلسلة مضاعفات تمكن العنصريون من احتوائها ومنعها بوسائل القمع العنصرية ونظرا للتخلف الكبير في الظروف الذاتية للحركة الوطنية الافريقية آنذاك •

مد الجسور

وعلى ضوء المتغيرات في منطقة افريقيا الجنوبية فان بريتوريا ليس فقط بحاجة الى تغذية علاقاتها مع الانظمة الرجعية الافريقية التي تهافتت على اليد العنصرية الممتدة نحوها، تقدم لها اغراءات استبدال شعار « المجابهة » بشعار « الحوار ومد الجسور » مع عنصريي جنوب افريقيا • فالاعتماد على مثل هذه الانظمة الرجعية في هذه المرحلة الجديدة ، فيه مخاطر كبيرة لبريتوريا • وقد تمثلت العبرة في تجربة انغولا، عندما انفرط عقد الرجعيين بانتصار الحركة الشعبية على التآمر الإمبريالي ـ العنصري فراحوا يحاولون غسل ايديهم الملطخة بالعار ، وإعادة ترميم جسورهم مع لواندا ، وكسب ود النظام الثوري الذي تواطأوا مع المتآمرين الاساسيين للاطاحة به •

من هنا بدأت بريتوريا تكثف جهودها لتوثيق العلاقات مع الحلفاء الطبيعيين لنظام الحكم العنصري في جنوب افريقيا • ومن هنا تبرز اهمية توثيق التحالف القائم بينها وبين تل ـ ابيب ، خاصة في المجال العسكري • فعنصريو جنوب افريقيا يجدون انفسهم عند منعطف يحتاجون فيه ، بين ما يحتاجونه ، الى خبرات اصدقائهم الاسرائيليين في مسائل الحرب « الوقائية » ، ومكافحة النشاط الفدائي عبر الحدود والوسائل الامنية التي يمارسونها داخل الاراضي التي يحتلونها لمنع ضرورة الاتصال الحيوية بين رجال المقاومة والسكان ، رغم ان حلفائهم لم يحققوا نجاحات لامعة في هذا المجال كما اثبتت الانتفاضة الجماهيرية التاريخية اخيرا •

وكان نظر العالم قد لفت الى هذا التحالف العنصري بين بريتوريا وتل ـ ابيب في خريف سنة ١٩٧٢ ، عندما سارعت الحكومة الجنوب افريقية الى ارسال حوالي ٥٠ طائرة ميراج لاسرائيل خلال حرب تشرين الاول (اكتوبر) العربية ـ الاسرائيلية ، لتعزيز قوة سلاح الجو الاسرائيلي الذي مني انذاك بخسائر فادحة •

رد الجميل

والعلاقات بين جنوب افريقيا العنصرية واسرائيل تعود الى تاريخ عام ١٩٤٨ المشؤوم • فقد سبق خلق الكيان الصهيوني في فلسطين في ايار ١٩٤٨ ، ببضعة ايام ، وصول الحزب القومي العنصري للمستوطنين البيض في جنوب افريقيا ، الى الحكم ، ومباشرته تطبيق نظام التمييز العنصري • وقد لعبت الصداقة الهجية بين هاييم وايزمان والفيلدمارشال سماتس ، زعيم الحزب آنذاك ، دورا بارزا في مشروع اعلان الدولة الصهيونية • وقد رثت الحكومة الاسرائيلية الجنرال سماتس عند وفاته في سنة ١٩٥٠ ، ما يعطي صورة واضحة على هذا الدور ، بالقول : ان الجنرال سماتس مكتوب على خارطة اسرائيل، وفي قلب امتنا (!) •

وقد ساعد وجود العديد من اليهود الجنـ افريقيين ، مثل ابا ايبان ، في مواقع الحـكـ ووجود جالية يهودية مزدهرة في جنوب افريقيـ على اقامة العلاقات الوثيقة بين البلدين ، خاص على الصعيد التجاري • ولكن بدأ نمو العلاقـ العسكرية بشكل بارز بعد حرب حزيران ، ١٩٦٧ عندما وجد عنصريو بريتوريا في الحرب الصاـ التي شنتها اسرائيل ضد العرب ، مجالا خصـ لقياداتها العسكرية ، ولم يكن سرا ان عمليـ تبادل الخبرات العسكرية نشطت بين البلدين ذلك التاريخ •

وهذه العلاقات لم تتوقف عند حدود تبـ الخبرات ، ورد بريتوريا « للجميل » في خريـ ١٩٧٣ ، بمد اسرائيل بالعشرات من طائـ الميراج • بل ان جنوب افريقيا كانت خلال تلـ السنوات قد اصبحت زبونا من الزبائن القـ لصناعة الاسلحة الاسرائيلية • فبالاضافة الـ استخدام القوات الجنوب افريقية رشاش «عوز» الاسرائيلي الصنع ، ومنذ وقت طويل ، فـ المعامل الاسرائيلية في السنة الماضية ، كـ تعمل لانتاج كمية معينة من صواريخ «غابرييل» ارض ـ ارض ، كجزء من صفقة سلاح ضخمة اسرائيل لجنوب افريقيا •

ولا تخرج زيارة رئيس وزراء جنوب افريقـ لاسرائيل هذا الاسبوع ، عن هذا النطاق • فظر الكيان العنصري الابيض في افريقيا الجنوبية اليوم تفترض توثيق هذا التعاون العسكري هذين الكيانين العنصريين المحاصرين ، اللـ يواجهان ظروفا متشابهة كمغتصبي ارض واسـ شعب ، ولا بد ان يواجها مصيرا مماثلا •

العنصريون يستعدون للمجابهة المحتومة